رواية ليلى وسمير

وضعها لتمثل

﴿ جميل صدقي الزهاوي ﴾

Leilâ et Sumeir,

Drame ottoman constitutionnel.

﴿ وجعلها تقدمة الى جلالة الملك المعظم ﴾

﴿ فيصل الاول ﴾

﴿ لا زال الادب ريان ناشئا برعايته الملكية ﴾

« بغداد : ١٠ تموز سنة ١٩٢٧ »

اسماء الممثلين

ليـــلى ـــ حبيبة سمير
سمير ـــ محب ليلى
زينب ـــ أم ليلى
حبوبة ـــ حاضنة ليلى
عائشة ـــ ام سمير
مجيدبك ـــ والي بغداد
راسمبك ـــ رئيس الشرطة
سالمبك ـــ ابو سمير
عبدالله ـــ شيخ رفاعي عاشق ليلى
رجب ـــ عدو سمير في الباطن وصديقه في الظاهر
عبدالسلام ـــ صديق سمير
صلوحة ـــ ام الشيخ
عمشا ـــ اخت الشيخ

ابوخزامة ـــ مدفع قديم يطوف به السذج والجاهلون في بغداد ويقدمون له النذور ويطلبون منه قضاء الحوائج ويدخلون رؤوس اطفـالهم المولودين جديدا في فوهته ليعيش .

ليلى وسمير

الفصل الاول

— المشهد الاول —

زينب في جنب مهد ابنتها « ليلى » تغني لها اغنية النوم عندما ليلى كانت طفلة

نعست بعد الرضاع و للنعـاس دواعي
تغضين فوق ذراعي والآن في المهد نامي
لانت بنت الاماني منزوعة من جناني
جم عليك حناني نامي بجنبي نامي
قد كنت ليلة عرسي حلما لذيذا لنفسي
واليوم يا ابنة انسي انت الحقيقة نامي
لسوف تنمين جسما حتى تكوني اتما
وبعد ذلك اما ترعى بنيها فنامي
عليك يا ابنة حبي روحي يرف وقلبي
نامي هنيئا بجنبي نامي من الوقت نامي
حسبي من الدهر بنتي اما لجيل سيأتي
انت السعادة انت نامي بمهدك نامي
لك الهناء موفر في الليل والليل اقمر
اني عليك لاسهر الى الصباح فنامي
اما حياتي فتخزى مالم اجد فيك عزا
اهز مهدك هزا حتى تنامي فنامي
الليل فابغي المناما يهدى اليك السلاما
فلا تزيدي ابتساما نامي فديتك نامي
هيا الى النوم هيا فالوقت امسى عشيا
نامي منى هنيا نامي الى الغد نامي

— المشهد الثاني —

بعد ثماني عشرة سنة مضين على طفولية ليلى — سمير يحدث نفسه

احببتها يوم مرت وهي سافرة ... الي تختلس الانظار في خجل
سمراء في مقلتيها السحر مستتر ... والسحر ان كان حقا فهو في المقل

نعم احببتها حبا جما ، واحسب انها تشعر نحوي بما انا اشعر به نحوها من هوى . اليس الحب هو المغناطيس الذي يجذب القلب الى القلب ، كما ان المقت يدفعه عنه ؟ واي دليل على حبها اكبر من انها كانت تختلس الي الانظار خفرة كلما مرت بي ، او مررت بها ، وهي راجعة من تنزهها على شاطىء دجلة الى دارها ؟ سواء كنت وحدي او في صحبة رفيقي في القلم « رجب » ؟

ان صدق الظن فانا السعيد ! اخبرني رجب انها ابنة القائد العربي صادق بك ، الذي قتل قبل عشر سنوات في حادثة بالناصرية ، وانها تحسن الموسيقى وتغني بالشعر ، فاذا غنت اخذ ما تشدو به يحدث هزة في سامعيه كأنه تيار من الكهرباء ، وانها ليست بالغنية ولا الفقيرة ، كما انا كذلك ، وان لها ولامها راتبا قدره ثمانية جنيهات في الشهر وهما تعيشان مقتصدتين ، فلا تقتير ولا اسراف ، وقد تشربت المبادىء الحرة ، ونزعت الى السفور ، في ادب ونزاهة وقد كانت الاولى في الصف المنتهي لمدرسة الاناث الثانوية عندما احرزت الشهادة . واي ضير علي اذا راسلتها وبثثت لها غرامي وطلبت اليها مقابلة في الليلة القادمة على شاطىء دجلة تحت اضواء القمر في كتاب احرره باسمها ؟ ألم تعتد الجلوس على شاطىء دجلة في اصيل كل يوم ؟ فاذا اجابت عليه ، عرفت ما يحس به قلبها نحوي . انا مثلها وحيد امي وقد مات ابي سالم بك قبل خمس سنين بعدا كملت دروسي في المدرسة الملكية بالاستانة ورجعت الى الاوطان .

— المشهد الثالث —

ليلى في غرفتها تحدث نفسها

لا تكذبني عيني فان الامضاء لسمير ذلك الشاب الجميل الذي يقف لي على الطريق كل يوم واشاهده محدقا الي ؛ وهو ذلك الشاعر الكبير الذي بعد صيته وذاع نبوغه واسمع ان له في صحف مصر مقالات ملؤها الحماسة ، والدفاع الحار

عن الاوطان ، ومكافحة الاستبداد والذب عن السفور ، يكتبها باسم مستعار ، فهو نصير المرأة في العراق يحذو حذو قاسم امين في مصر .

اني لما قرأت امضاءه احسست بقلبي يخفق . ما ارق عباراته واجملها ! يطلب الي ان ابنئه بالصراحة التي هي من ايحاء الثقافة العصرية بما احس به نحوه ، ويؤكد ان حبه لي طاهر قد ملك فؤاده ، فهو لا يفتكر إلّا بي ، ويبسط امنيته في ان تسهل الظروف امر زواجه بي في القريب ، اذا كنت اهواه كما هو يهواني ، فنعيش معا في ظل الحب الوارف سعيدين لا يفرق بيننا إلّا الموت ، وان اوافيه الليلة الى شاطىء دجلة لنمهد معا اسباب القران .

ان امنيتي ياسمير هي نفس امنيتك ، وغرامي بك اكثر من غرامك بي ، فانا اعاهد في غيابك نفسي ان لا ارضى لي غيرك بعلا ، مهما حالت الحوادث ، وسأوافيك الليلة الى الشاطىء كما دعوت مستصحبة حاضنتي الامينة « حبوبة » وان كانت زيارتي هذه تثلم من سمعتي اذا بلغ خبرها سمع اولئك الاشرار الذين يرون سعادتهم في شقاء الاخرين .

— المشهد الرابع —

سمير وليلى على شاطىء دجلة في ليلة قمراء

سمير — كانت نفسي تطأمنني انك يا ليلى ستجيبيني، فقد وعدتني في كتابك المجيء ؛ ولعلك لست واجدة علي لدعوتي اياك الى هذا الشاطىء المنعزل ، واني لارى انعزاله هذا افضل ما فيه ، فنحن هنا في ذمة الهوى مختفيان عن اعين الرقباء ، لاترانا إلّا عين هذا القمر الذي تفيض انواره البيضاء جميلة وهو لا ينم علينا.

ليلى — كذبك الظن ياسمير ، فان لنا ثالثا عدا القمر ، ثالثا من اللحم والدم . من البشر مثلنا. انظر الى ذلك الظل الصغير على بعد سبعين قدما فهو حاضنتي « حبوبة » وهي مثل هذا القمر الصامت لا تنم ولا تخون . واعلم انها تعرف كل ما هو بيننا من حب بريء وغرام صادق، فلا يريبنك منها شيء.

سمير — ان من لا يريبك لا يريبني انا ايضا وان غايتي يا ليلى من اجتماعنا هذا ان اقول لك اني لا استطيع صبرا على حياتنا الانفرادية ، واني

وان لم اخاطبك وجها لوجه إلّا هذه المرة ، كنت ياليلى اراسلك بالانتظار ، فاقرأ الجواب في اعينك فاريد ان نبت في امر قراتنا فهل تحسبين ان امك زينب ترد امي عائشة خائبة اذا هي جاءتها خاطبة اياك لي .

ليلى — كلا يا سمير ، ثم كلا ، فان امي لا تبت في امر يتعلق بي ما لم تطلع على رأيي فيه ، فلا تخش من قبلها معارضة وقد اصبحت امك الفاضلة صديقة لها فهي تزورنا الاونة بعد الاخرى ، وامي تجلك الاجلال كله ، لانها سمعت مرارا مني تفضيلك على بقية الشباب . واني ياسمير لك ، سواء عجلنا الزواج او اخرناه وستسمع من امك كيف ان امي راضية بزواجنا فهي قد سألت عنك الكثيرين فما سمعت إلّا ثناء عليك عاطرا ، واطراء لعبقريتك واعترافا بصدق طويتك وادبك الجم وهاك ياسمير يدي عربونا لزواجنا الذي ارجو ان يكون سعيدا !

(يقبض سمير على يد ليلى ويلثمها ثلاثا ويقبلها ثلاثا ثم يتعانقان ويقبل كل منهما الاخر في فمه ويفترقان) .

— المشهد الخامس —

رجب يدخل على الشيخ عبدالله في مجلسه ويقبل يديه ويجلس في مقعد يشير اليه الشيخ في جنبه

الشيخ — كيف انت يا رجب ؟ لم ارك منذ اشهر فهل انت بخير ؟

رجب — انا ذلك الخادم الامين لسيدي الجليل ولا ازال بخير ما بقيت بركات سيدي تشملني واني بعد كل صلاة ابتهل الى الله ان يطيل عمرك الارشاد كوكبا وقادا يهتدي بضيائه الناس في طريق حياتهم المظلمة .

الشيخ — ما انقى ضميرك يا ولدي واقربك الى الرشد والصلاح ! واني لواجد فيك خير خليفة لي اذا انتهت ايامي ودعاني الله تعالى الى ملكوته . اخبرني يا ولدي ماذا وراءك واي نبأ في البلد ؟

رجب — لا نبأ يا سيدي إلّا ما يسوء الدين والمروءة والصداقة لخليفة الله في ارضه . فان « سميرا » ذلك الشاب الغر الطائش ، السفيه في القول ،

الجريء على نقد امير المؤمنين في مقالات ينشرها في صحف مصر بامضاء مستعار قد اغوى بذلاقة لسانه وخدعه فتاة من احسن فتيات العرب في الحاضرة هي ليلى ابنة القائد المرحوم صادق بك وغر امها زينب حتى رضيت ان يكون لابنتها بعلا في القريب العاجل فهي على وشك ان تقيم حفلة العقد له عليها وهذه نكبة على بغداد ؛ فان هذا المارق من الدين الخائن لسلطانه سيعقب من هذه اليتيمة الحسناء نسلا شريرا مثله يملأ العراق فتنة وفسادا ! وما اجدر ليلى ان تكون تحت رعاية سيدي زوجا له صالحة تلد اولادا صلحاء يخدمون الطريقة الجليلة الرفاعية ويملأون الارض ارشادا وقسطا . واني لا اجهل انك يا سيدي في حاجة الى زوج جديدة مكان تلك التي طلقتها قبل سنة وهذه التي طلقتها قبل شهر. فجدا لو ارسلت امك الصالحة واختك الزاهدة الى ام ليلى زينب تخطبان منها ابنتها لك قبل ان يظفر بها هذا الشاب الطائش « سمير » فاني لا اظن ان ام ليلى الجميلة تجسر على رد الخطبة وهي تعلم ما لك من الحظوة عند والي بغداد مجيد بك والجاه عند السلطان ؛ وان امتنعت — لاسمح الله — فلا يصعب عليك ياسيدي ان تفضي الى الوالي بما عليه سمير من الخروج عن طاعة السلطان ، فتنفيه الحكومة الى قصي من بلاد الاناضول . وحينئذ لا تبقى للعجوز مندوحة من الخضوع لارادتك وتقديم ابنتها عروسا لك وهي صاغرة.

الشيخ — حسن ما تقوله يا ولدي واني علم الله كما ذكرت في اشد الحاجة الى زوجة صالحة فاني قد عزمت على تطليق زوجتي الثالثة لانها تتراخى في اداء صلوة المغرب بحجة انها تطعم اطفالها منعا لهم من البكاء ؛ كما طلقت الاولى لكونها كانت تتكاسل بالصيام في رمضان من غير عذر شرعي فقد رأيتها بعيني رأسي تشرب الماء البارد معتذرة بأنها لا تستطيع الصبر على الظمأ في تموز ؛ وكما طلقت الثانية لانها لم تأخذ طفلها المولود جديدا الى المدفع (ابو خزامة) لتدخل رأسه في فوهته حفظا له من كوارث الازمان .

وسارسل يارجب امي واختي الى زينب ام ليلى يخطبانها لي منها ويحذرانها من ادخال ذلك الشاب المارق بيتها وليس عليك يا ولدي غير ان تخالط سميرا فتقف على دخائله وتأتيني بالخبر اليقين ، والله لا يضيع اجر المحسنين !

رجب — سمعا وطاعة ايها السيد السند ، وستعلم اني لك من المخلصين ، وارى ان يمنع سيدي قبل كل شيء بواسطة الوالي سميرا من دخول بيت زينب حتى لا تجسر على عقد الخطبة له في العاجل .

الشيخ — لا يعنيك هذا فهو واجبي وستسمع ما يكون فتقر عينك ايها الشاب الرشيد .

(ثم يقبل رجب يد الشيخ عبدالله ويخرج من حضرته) .

الفصل الثاني

— المشهد الاول —

صلوحة وعمشا في دار زينب

(تدخل ام الشيخ صلوحة واخته عمشة دار زينب ، فترحب هذه بهما ، وتأخذ ليلى ملاءتهما وتأتي لهما بالقهوة ، ثم تأخذ الفناجين الفارغة وتخرج ذاهبة الى غرفتها الخاصة وتشير عمشا الى امها مفهمة اياها اعجابها بحسن ليلى الرائع)

صلوحة — اتيناك ايتها السيدة زينب خاطبتين ابنتك الجميلة ليلى لابني الوحيد الشيخ عبدالله ، ولابد من انك قد سمعت بمكانته عند الوالي فهو لا يقدم احدا عليه ولا يرد له سؤالا شيخ ولا كالشيوخ فقد تواترت كراماته ، ولم يراجعه ذو حاجة إلا قضاها بولايته . وكم مرة شوهد حاجا بيت الله الحرام ، وهو لم يبرح بغداد ! وكفاه فخرا انه رئيس مجلس الاربعين الابدال ، اولئك الذين يديرون امر العباد مجتمعين فوق جبل قاف ، في كل ليلة جمعة ، وسيكون لابنتك عنده الحظوة التي لم تحلم بها زوجة احد ، ثم المقام الارفع في عليين من جنات الله يوم القيامة ، وهو ما لا يناله إلا قليل من المؤمنين والمؤمنات !

ولا تفتكري في ازواجه ، فقد طلق الكبرى قبل سنة ، لاقطارها في

شهر رمضان ، والثانية ، لاهمالها الطواف بطفلها المولود حول المدفع (ابو خزامة) ، واشعال شمعة له ، وسيطلق الثالثة لانها تتراخى في اداء صلوة المغرب ، بحجة اطعام اطفالها ، وستكون ابنتك يا زينب الزوجة الوحيدة لشيخ جليل ، اذا رضي عن احد رفعه الى اعلى الدرجات ، او سخط عليه القاه في اسفل الدركات .

وهو ان كان قد تزوج ثلاث مرات ، لم يزل كهلا ، لايتجاوز سنه الشريف الخمس والاربعين سنة ، وهو بكر اولادي ، وقد حملته متوضئة ووضعته كذلك متوضئة ، فلا غرو اذا كان طاهر الجسد والروح ، قطبا تخر له الاقطاب لولايته العامة !

زينب — ليس لي ايتها السيدة كلام في مشيخة ابنك عبدالله ، ولا في جاهه ، وقطبيته ، وكراماته ! ولكني اقول لك آسفة ان ابنتي ليلى مخطوبة لفتى موظف في اقلام الحكومة ، اسمه سمير وقد تم الوفاق على العقد له عليها بعد اسبوع ان شاء الله !

عمشا — (وهي تنتفض من الحرد) — لقد افهمتك امي ان اخي الشيخ من اهل الكشف ، لا يعزب عن علمه في هذا البلد وفي غيره شيء فهو يقرأ الحوادث قبل وقوعها ، بعين ولايته ، وقد علم ما اتفقتم عليه من امر العقد ، وعلم كذلك ان هذا الامر لايتم ولن يتم في يوم من الايام فقد يحدث ، يازينب ، ما لا يخطر لك بالبال ، الم تسمعي ان سميرا هذا الذي تريدين تزويج ابنتك منه ، متهم بالتفوه على جلالة السلطان المعظم فلا يبعد ان ينفى الى بلد قاص ، قبل ان يشهد عرسه فيجر الوبال عليك وعلى ابنتك ! خير لك ، يا زينب ، ان لاتورطي نفسك وابنتك في ورطة لا مخرج منها ! تمهلي في الامر وافتكري مليا ، قبل ان يأتي مالا يحمد عقباه ! فان السلطان ، اصبح لايرد ما يعرضه عليه اخي الشيخ ، لوثوقه بصدقه من يوم عرض عليه في برقية انه قابل سيدنا الخضر عليه السلام ، واخذ الوعد منه باطالة عمره وتوفيقه في جميع سني سلطنته ؛ وقد صدرت ارادة مولانا السلطان بتخصيص

عشرة جنيهات من الخزينة الخاصة لاخي جزاء اخذه ذلك الوعد من سيدنا الخضر .

زينب — لا مشاحة في مقابلة اخيك الجليل لسيدنا الخضر وحظوته عند السلطان المعظم ، واني مفتكرة في الامر قبل ان ابت فيه ، وارجو ان لايكون إلّا ما فيه الخير والصلاح ،

(تقوم صلوحة وعمشا وتقدم لهما زينب ملاءتهما وتخرجان)

— المشهد الثاني —

تدخل ليلى على امها زينب ووراءها سمير

زينب — لم اسمع في كل عمري بمثل ما كانت تهذي به هاتان المرأتان ! اعرفتما لماذا جاءت هاتان السعلاتان ؟ انهما تخطبان ليلى مني للشيخ عبدالله متهددتين لي اذا امتنعت . تبا للدهر الذي جعلني مهددة من امثال هاتين الوقحتين ! تقول امه قد شوهد الشيخ يحج بيت الله ، وهو لم يبرح بغداد ، وان ابنها الشيخ ، رئيس مجلس الاربعين الابدال ، ينظر في شؤون العباد . كل ليلة جمعة ، في اجتماع يعقدونه فوق جبل قاف ، بمثل هذه الخرافات جاءتا تخطبانك ، ياليلى ، مني فما اشد حمقهما واغرب من كل هذرهما ، انهما تعترفان بان الشيخ كثير الطلاق لازواجه ، فهو بعد ان يشبع شهوته من امرأته ، يطلقها بحجة تراخيها في الصلوة ، او افطارها في رمضان ، او عدم طوافها بطفلها المولود حول المدفع ، واشعال شمعة له . فتبا لهما وللشيخ وللمدفع ! لا تضطربي ياليلى ولا تحسبي لهذرهما ووعيدهما حسابا فاني قد عقدت العزم على تزويجك من سمير ، ولا اؤخر هذا التزويج ، لتهديد مثل هاتين المرأتين النذلتين ! ولن تقعي في احضان هذا الغول الدجال — الشيخ عبدالله — ما بقي في عرق ينبض !

سمير — قد سمعنا انا وليلى كل مافاهت به هاتان المرأتان فقد جئت زائرا ليلى فاخذتني الى الغرفة المجاورة ، وسمعنا من شق الباب ما كان يدور بينك وبينهما من الحوار . وقد تصديت للخروج اليهما لطردهما

من الدار لولا ان ليلى منعتني . ولا ضير يا اماه من تهديدهما ! فان الشيخ لن يتمكن من ايصال الاذى بنا الى درجة ان يسخر من الشرع وحرية الزواج مهما بلغت فيه الشرة او كان الوالي يحتفي به لمعرفته انه من جواسيس « المابين » كما انبأني به صديقي الحميم « رجب » واني — اذا تدخل الوالي في امر زواجي بليلى — لابرق الى ذات السلطان باسطا له مايجري في هذه الولاية من الحيف على ايدي احد ولاته الذين يوفدهم مصرحا بان مثل اعمال هؤلاء الولاة هو الذي يرسل الالسنة في التبرم من الحكومة ويجعل القلوب مرفضة من حول عرشه !

يقول لي رجب : ان الشيخ عبدالله هذا جد شرير فهو لايقف دون اشباع شهوته من ارتكاب كل شنعة ولابد من ان يحدث شيء . ولكن نفسي تحدثني بفشل الشيخ وانه سيرجع عن تشبثاته خاسئا مدحورا فان الوالي اعقل من ان يتدخل فيما لا يعنيه ولو فرضنا تدخله فأتى مايخالف الشريعة والقانون فما احسب ان الشعب يسكت ولعل البركان ينفجر من شدة الضغط !

ليلى — اني اعاهدك يا سمير على اني ابقى عانسا الى ان اموت ، اذا منع الوالي زواجنا بما لديه من سلطان .

سمير — لا اخال ياليلى ان الامر سينتهي الى هذه النتيجة العوراء مهما كانت الحكومة مستبدة ومع ذلك يجب ان نبقى على حذر .

(ثم يقبل يد زينب ويخرج)

الفصل الثالث

— المشهد الاول —

رجب في حضرة الشيخ

(يدخل رجب على الشيخ في غرفته ويقبل يده ويجلس في مقعده)

الشيخ — ما وراءك يارجب ؟

رجب — قابلت سميرا فافضى الي كعادته بكل ما حدث وفهمت منه : انهم مصممون على السفر جميعا الى خارج الولاية ليتموا العقد والزفاف

بعيدين عما قد يعرقل ما يبتغونه في هذ البلد .

الشيخ — (وهو يضحك) انهم يا رجب في قبضة ولايتي هذه اينما حلوا فدعهم يصممون فيما شاؤوا فاني بحوله تعالى وقوته سأحول دون تحقق امانيهم الباطلة وستسمع كيف ان سمير ا سينال جزاء طيشه وكيف ليلى ستكون لي دون غيري بالرغم عن تمردها وتمرد امها الشمطاء .

رجب — انا يا سيدي الجليل واثق بكل ما تقوله وسأخدمك بكل ما اوتيت من حول وحيلة ولا اطلب جزاء لخدمتي غير كلمة عند الوالي ليرفعني في القلم المكتوبي الى الوظيفة التي يشغلها سمير اذا عزل او نفي فان راتبي اليوم لا يقوم بحاجاتي وانت سندي الذي اعول عليه بعد الله تعالى عليه في امور دنياي ودينيي .

الشيخ — ستبلغ يا ولدي بحوله تعالى وقوته كل ما في امنيتك فانك من الذين يخلصون لي وانا لا انسى جزاء المخلصين فاذهب مطمئن البال وارجع بما تقف عليه من اخبار ذلك الشاب سمير الخائن لسلطانه.

(ثم يقبل رجب يد الشيخ ويخرج

— المشهد الثاني —

الشيخ عبدالله يدخل ديوان الوالي بلحيته العريضة الطويلة وعمامته المكورة فيستقبله الوالي الى الباب ويجلسه على مقعد في جنبه

الوالي — اتشرف بزيارتك اياي ايها الشيخ المحترم وهل من حاجة فاقضيها لك؟

الشيخ — (بصوت عال) لقد بلغ الامر يا دولة الوالي ووكيل جلالة السلطان في هذه الولاية ببعض الشبان الطائشين ان يتعدوا حدودهم ويتطاولوا على عرش امير المؤمنين الذي نعيش في ظله الوارف فيجسروا على الطعن فيه والثلب ؛ يريدون ان يثلوه وما ذلك إلا لما عهدوه فيك يا حضرة الوالي من حلم واناة . ورئيس هؤلاء هو احد من استخدمته الحكومة في القلم المكتوبي فمكنته بذلك من الاطلاع على اسرار الدولة في هذه الولاية ذات الشأن .

الوالي — من هو هذا الشاب الذي استخدمته الحكومة وهو يجرؤ كما تقول على

الطعن في عرش جلالة السلطان ؟

الشيخ ـــ هو سمير ابن المرحوم سالم بك ، فانه الف جمعية من الشباب لبث الفساد واخذوا ينشرون المقالات تلو المقالات في صحف مصر مملوءة انتقادا مرا للسلطنة السنية . انهم يا دولة الوالي يبتغون ان يكون التعليم والمحاكمات في قطرهم باللغة العربية جاعلين مطالبهم هذه مقدمة لتأسيس حكومة عربية لاصلة لها بالسلطنة العثمانية واني لولا صداقتي لحضرتك ومراعاتي لجانبك لرفعت بنفسي تقريرا بما يأتيه هؤلاء الى المابين الهمايوني لتصدر بتنكيلهم ارادة قاطعة فيكونوا عبرة للاخرين .

الوالي ـ هون عليك ايها الشيخ المحترم فاني سآمر رئيس الشرطة راسم بك ان يبذل مجهوده في تحقيق جريمة سمير فاذا ثبتت عليه نفيته الى قاص من البلدان .

الشيخ ـــ هل تعتقد ايها الوالي اني اقول ما ليس لي به علم ؟ كلا فما اطلعتك إلّا على ما هو الواقع .

الوالي ـ معاذ الله ان ارتاب في صدقك ولكن الاوامر التي تأتيني تحظر ايقاع الجزاء على احد إلّا بعد التحقيق فلا مناص منه .

الشيخ ـــ ان هذا الشاب لم يكتف بما يشره في مصر على الحكومة بل اخذ يتوسع في الفساد ، وبث السموم حتى ادخلها في حريم العائلات واشراك الفتيات في اثارة الخواطر . فقد اغوى فتاة في اكرم البيوتات تسمى « ليلى » وهي ابنة القائد صادق بك حتى سمعت انه على وشك التزوج منها واذا تم هذا القران المنحوس ـ لاسمح الله ـ كانت هذه الزوجة داعية مخوفة الى نشر فكرة سمير الجهنمية في العائلات جمعاء ولا يعلم إلّا الله درجة وخامة العاقبة .

الوالي ـ سنتحقق هذه الجهة ايضا وايقن بان مثل هذا القران لن يتم وسيلقى سمير جزاء جرأته من عزل ونفي .

الشيخ ـ بارك الله فيك واخذ الله بيدك وابقاك سيفا قاطعا لدأب المفسدين في ارضه .

(ثم يصافح الوالي ويخرج مشيعا من قبله الى الباب)

ـ المشهد الثالث ـ

الوالي ورئيس الشرطة راسم بك

الوالي ـ قد حدث يا راسم بك امر جلل فان احد الكتاب في القلم المكتوبجي وهو سمير بن سالم بك ، ينشر في صحف مصر بامضاء مستعار مقالات على الحكومة السنية وعلى شخص السلطان المعظم ؛ وقد الف جمعية لبث الفساد ، فيجب ان تحقق الامر تحقيقا دقيقا . واعلم ان سميرا هذا على وشك الزواج من فتاة اسمها ليلى هي ابنة المرحوم صادق بك ، فقد اغواها متذرعا بها الى نشر افكاره السامة بين العائلات . فضع قبل كل شيء خفرا من البوليس على دار ارملة صادق بك منعا لدخول سمير فيها وحذر المرأة من تزويج فتاتها بهذا الفتى الطائش وانذرها عن لساني انها اذا زوجتها منه كان هذا الزواج شؤما على ابنتها ووبالا عليها .

رئيس الشرطة ـ سمعا وطاعة سيدي .

(ثم يؤدي السلام الرسمي ويخرج)

ـ المشهد الرابع ـ

رئيس الشرطة في دار زينب يخاطبها

رئيس الشرطة ـ انا يا سيدتي موفد اليك من قبل دولة الوالي ، وثقيل علي ان ابلغك اوامره الصارمة . وان كانت لخيرك وخير ابنتك .

زينب ـ اني يا سيدي لا افهم مغزى ما تقول فصرح لي بهذه الاوامر .

رئيس الشرطة ـ هي يا سيدتي ان تمتنعي بتاتا من تزويج ابنتك بهذا الشاب الذي يسمى سميرا وان تمنعيه من دخول دارك وقد وضعت الحكومة خفرا على الباب حتى اذا رأوه يتردد الى بيتك اخذوه اخذ عزيز مقتدر فالقوه مكبلا بالقيود في غيابة السجن . هذا يا سيدتي ما جئت به مبلغا اياك من قبل آمري وهو دولة والي بغداد مجيد بك .

زينب ـ ما علاقة الوالي يا سيدي بامر زواج ابنتي ممن تشاء وهل في هذا الزواج ما يمس سياسة الحكومة حتى يتدخل الوالي في امره .

رئيس الشرطة ـ الامر يا سيدتي اكبر مما تظنين ؛ فانا انصح لك ان تمتثلي

ما يأمر به دولة الوالي فذلك خير لك ولابنتك وإلّا اصابكما مالا تحمدانه .

(ثم يودعها ويخرج) .

— المشهد الخامس —

ليلى وامها زينب

ليلى — (تبكي وتخاطب امها زينب) — انا يا اماه لا ابكي لمنع الحكومة زواجي من سمير ولكني خائفة من ايصال الاذى اليه وان الشيخ يا اماه هو الذي كاد لسمير هذه المكيدة فارسلي الى سمير حاضنتي « حبوبة » تخبره بالامر وتحذره من المجيء الينا ريثما تزول العسرة مخافة ان يقبض عليه فيزج في السجن .

كلام — هذا هو الرأي ولا تيأسي يا ليلى فان الحياة لا تخلو من مثل هذه الحوادث المزعجة وعسى ان لا يصيب سميرا ما نخشاه .

— المشهد السادس —

حبوبة وسمير

حبوبة — ارسلتني اليك يا سمير ام ليلى ترجو ان تنقطع برهة من الزمن عن زيارة بيتها خشية ان ينالك — لا سمح الله — من الحكومة سوء . فان الوالي ارسل رئيس الشرطة يمنعها متهددا من تزويج ليلى بك وقد وضعوا على باب الدار خفرا من البوليس للقبض عليك اذا شاهدوك تتردد الى الدار وترى سيدتي ان كل هذا من كيد الشيخ عبدالله ذلك الطامح في زواج ليلى فاصبر يا سمير على مضض الفراق حتى تنفرج الازمة .

(ثم يبكي سمير وتبكي حبوبة وتخرج)

الفصل الرابع

— المشهد الاول —

سمير في حديقة البلدية

إلّا انا وحدي

روض وبستان ورد وريحان

بلابل تشجو منهن الحنان

تمشي زرافات حور وولدان
الكل مرتاح الكل جذلان
الناس في رغد
إلا انا وحدي
تزداد آلامي عاما على عام
أهكذا اشقى في كل ايامي
فاين آمالي واين احلامي
اذا دنا حتفي تزول آلامي
فليس لي شيء
سوى الردى يجدي
للقوم احقاد علي تزداد
كم كادلي كيدا للؤم اضداد
كأن قومي عن نهج الهدى حادوا
اني وان جارت علي بغداد
اهدي لها حبي
هذا الذي عندي
بنايتي انهارت تجارتي بارت
سعادتي ولت تعاستي زارت
جسارتي قلت جلادتي خارت
عصفورتي فرت حمامتي طارت
لقد اتى نحسي
وقد مضى سعدي
ما كنت في الماضي اشقى باعراض
ابلى باخفاق امنى بانفاض
بل كنت في عهد للعيش فضفاض
افديه من عهد عنه انا راضي
يا حبذا الذكرى
لذلك العهد

— المشهد الثاني —

رجب وسمير

رجب — فهمت يا سمير من ذلك الشيخ المنحوس الدجال عبدالله ، انه هوالذي وشى بك وان الحكومة تتحراك في كل مكان لتقبض عليك وتنفيك من العراق . واني اشير عليك بدافع الصداقة ان تهجر البلاد الى مدة من الزمن ، لتنجو بنفسك من ظلم الظالمين ، فربما تغيرت الامور بعد حين ، فعدت الى بلدك مطمئنا واقترنت بخطيبتك ليلى .

سمير — اخشى يا صديقي الحميم ان الوالي يضطر ام ليلى الى تزويجها من الشيخ وحينئذ لا يبقى لي غير الانتحار .

رجب — هذا لن يكون فان ام ليلى صلبة وهي تحب ابنتها فلا ترضى ان تزوجها من هذا الغول وهي تعرف غرامها بك ولا احسب ان الوالي ينزل الى هذه الدرجة من الوحشة والضلال فيجبر اما على تزويج فتاتها ممن لا تهواه وانت تستطيع في خارج العراق ان تكافح الوالي والشيخ بما تنشره في جرائد مصر . اما اذا سجنت او نفيت فانت المقيد المكموم الفم لاتقدر على الدفاع عن نفسك او رفع ظلامتك الى الاعتاب السلطانية ثم الى متى تبقى انت متشردا تنام ليلة هنا واخرى في غير هذا المكان بعيدا عن امك التعسة وخطيبتك ليلى لا تعرف متى تهتدي اليك الشرطة فتقبض عليك وتلقيك في مظلم من السجون ؟

سمير — ان ماتشير به علي ايها الصديق لهو الصواب وسأفعل طبقه فان الحزم فيما تقوله . (ثم يتصافحان ويفترقان)

— المشهد الثالث —

سمير على شاطىء دجلة

ظفرت بالمنى في ليلة هنا
في ليلة بدت بيضاء بالسنى
كانت سعادة فلم تدم لنا !

اذ كان ساكبا لنوره القمر
وكان تحته يحلو لنا السمر !

ليـــلى تنيلني او اجتني انـا
اجنـي لذاذة ما اطيب الجنى
فيضحك الرضى وتبسم المنى !
يا لهـفتي على عيشي الذي غبر !
و حسرتي على اوقاته الغرر !
اذ كنت عائشا في دولة الغنى
اروح رافلا في مطرف الهنا
لا اشتكي الاذى لا اعرف الونى
قـد بدل الزما ن الانس بالفجر
والوصل بالنوى والصفو بالكـدر
قد كنت واثقا بالعهـد بيننـا
من ذا اضاعه أانت ام انا
ام الذي رعى هو الذي جنى
هذا الذي جرى ما كان ينتظر
لا عتب لي على الايام والقدر
آه من الاسى اوه من الضنى
البين راعني كالغول اذ رنا
من ذا يرده من بعد ما دنا
للدهر لا تلم فالدهر ما غـدر
حظي هو الذي من العمى عثر

— المشهد الرابع —

عائشة تدخل على زينب وليلى

عائشة — بربك يازينب اسمحي لليلى ان تزور بصحبتي ولدي سميرا في فراشه فهو مريض ينتفض من الحمى وينام في بيت صاحبه «عبدالسلام» واني يازينب خائفة ان يموت اسى واحسب ان سبب مرضه هو اليأس الذي استحوذ عليه اخيرا ؛ وقد اتينا سرا بطبيب يداويه ويخيل الي ان خير دواء

لشفائه هو لقاء ليلى التي لا يفتأ يذكر اسمها وهو في سورة الحمى .

ليلى — اسمحي لي يا اماه ، ان اعوده ، صحبة عمتي السيدة عائشة فان قلبي يكاد ينفطر لخبر مرضه .

زينب — اذهبي يا ابنتي ، وليكلأك الله بعينه .

(ثم تخرج عائشة وليلى بعباءتين كما هو العادة في بغداد)

— المشهد الخامس —

تدخل ليلى الغرفة التي ينام فيها سمير فيجلس سمير في فراشه ، ويمد يده الى ليلى منشدا

ليلى سليني

رأسي مصدوع ! عظمي مخلوع !
قلبي مكسور ! روحي ملذوع !
ليلى سليني !
ليلى سليني !
ايامي جارت ! آمالي انهارت !
افراحي غاضت ! احزاني فارت !
ليلى سليني !
ليلى سليني !
قد القى يأسي نارا في نفسي !
اعدائي دسوا سما في كأسي !
ليلى سليني !
ليلى سليني !
اشقاني دهري في شرخ العمر !
لي هم جم يغلي في صدري !
ليلى سليني !
ليلى سليني !
قلبي ما قلبي يهفو في جنبي !
اني من احزاني قاض نحبي !
ليلى سليني !
ليلى سليني !

وقف كتابخانه اماني دفتر تبليغات اسلامي «ق»

مـا ذا ادلاجي في ليلي الداجي!
اني يا ليـلى لم ابلغ حاجي!
ليلى سليني!
ليلى سليني!
هدوا اركاني يا للحرمان!
ليـلى ما اشقـا ني ما اشقاني!
ليلى سليني!
ليلى سليني!
ويلا يا ويلا ما اقوى السيلا!
اني مفجوع! سليني ليـلى!
ليلى سليني!
ليلى سليني!

(تبكي ليلى ثم تمسح عينيها وتخاطب سمير)

ليلى — ان حاجتي الى ان تسليني ليست دون حاجتك الي لاسليك فلا تفرط ياسمير في اليأس فانه قاتل! وهل عندك ريب في اني لا اتزوج من غيرك! وان قطعوا لحمي وخلعوا عظامي واذا كان جسمي بعيدا عنك فان روحي تحوم حولك كما تحوم الفراشة حول الزهرة اليانعة! واصبر فان الايام تنقلب والى اللقاء يا سمير.

(ثم يتعانقان وتخرج ليلى)

— المشهد السادس —

حبوبة تدخل على زينب وليلى

حبوبة — لقد تماثل سمير بعد عيادة ليلى له في دار صاحبه عبدالسلام وقد لاقاني اليوم في طريقي الى الدار متنكرا واعلمني ان قد صحت عزيمته على مغادرة العراق ليبرق في خارجه الى السلطان شاكيا اليه ما حاق به من الحيف وهو مؤمل ان ينال من وراء ذلك حريته فيعود ويتزوج برغم اعدائه ثم انه يرجو لقاء سيدتي ليلى مرة اخرى في دار صاحبه عبد السلام قبل سفره فانها بمعزل عن انظار الشرطة.

ليلى — يعز علي يا اماه ان يسافر سمير ولا اذهب لوداعه فرخصيني ان اذهب اليه الليلة مع حاضنتي حبوبة .

زينب — اذهبي يا ابنتي ولا تبطئي في العودة فاني اخشى عليك من ان يلحظ احد الشرطة دخولك بيت عبدالسلام او خروجك منه فيقبض على سمير .

الفصل الخامس

— المشهد الاول —

ليلى وسمير .

سمير — (يخاطب ليلى)

عانقيني فبعد هـذا الفراق ما ارى يا ليلى لنا من تلاق!
عانقيني فليس من بعد صدع — الدهر بالبين شملنا من عناق!
عانقيني فلست احسب انا نتلاقى من بعد هذا الفراق
عانقيني فقد دنا البين منا عانقيني فالبين مر المذاق
عانقيني فلست اعلم ماذا في طريقي اذا رحلت الاقي

(يتعانقان ويبكيان بكاء يمثل ما بقلبيهما من لوعة واسى)

ليلى — سر يا سمير على الطائر الميمون واعلم باني سأنتظرك في الارض فان بخلت الارض علي بك انتظرتك في السماء ولا اخال السماء تضن بك علي سر ايها الحبيب وعد الي سالما بعد قليل والى اللقاء اللقاء .

(ثم تخرج من عنده ليلى وهي باكية)

— المشهد الثاني —

يدخل عبدالسلام على سمير

عبدالسلام — الليل يا سمير مظلم والفرس معدة لك فسر على بركة الله واذا احتاجت الي املك او ام خطيبتك فاني مستعد لكل خدمة ولكن قل لي يا سمير كيف كانت مقابلتك لليلى ؟

سمير : لا تسل عني حين مدت يدا تر جف ليلى والدمع ملء المآقي
اذ تعانقنا ساعة وبقلبي حفر البين مثل نار حراق
فيد للوداع في جيد ليلى ويد فوق قلبي الخفاق

بقيت ايدينا ونحن حيال — البين مشبوكة على الاعناق
ولقد اجهشنا كما تجهش الاطـ ـفال ما ان شبوا عن الاطواق
وكأن النجوم لما بكينا كن يبكينا من الاشفـاق
و تعـاطينا قبلة هي منهـا كل زادي في رحلتي وانطلاقي
وافترقنا فيـا لها ساعة تأ ثيرها في نفسي الى الموت باقي

(ثم يودع سمير عبدالسلام ويخرج)

— المشهد الثالث —

الوالي ورئيس الشرطة

الوالي — قـد وردتني برقية رمزية من رئيس الكتاب في المابين الهمايوني يبلغني فيها ارادة مولاي السلطان ان اكف عن تعقيب سمير ولا امانع من تزوجه بخطيبته والظاهر انه ابرق من خـارج العراق يشكوني الى السدة السنية وليس لي الان إلا الخضوع ، ولكني سوف انتقم من سمير وسأجد وسيلة للبطش به فضعه تحت مراقبة شديدة فاذا بدا منه ما يريبني قبضت عليه وكتبت الى المابين الملكي انه لم يرجع الى طريق الصواب مع ما عفي عنه .

رئيس الشرطة — الامر لسيدي وسأنبه افراد الشرطة ان لا يتعرضوا له اذا رجع .

(ثم يؤدي السلام ويخرج)

— المشهد الرابع —

لقاء سمير وليلى

يتعانقان ويبكيان من الفرح ثم يتعانقان ويبكيان

ليلى — احمد الله على رده اياك الي سالما .

سمير — حبك يا ليلى هو الذي منحني القوة فغلبت اعدائي وفزت بك بعد ان كدت اقضي من اليأس .

(تدخل عائشا ام سمير ، وزينب ام ليلى ، وتهنئان سميرا وليلى)

عائشا — لقد اجتمع والحمد لله شملنا وارى ان نتم السرور بتسريع العقد لسمير على ليلى في غد ففي التأخير آفات .

زينب — وانا ايضا ارى رأيك .

سمير ـ ان والدتي قد تكلمت تعبر عن فؤادي فيا حبذا ما اقترحته ويا حبذا غد !

زينب ـ غدا نعم غدا ولنستعد للامر ونوزع اوراق الدعوة .

ـ المشهد الخامس ـ

رجب وسمير

رجب ـ اهنئك يا صديقي على ما نلته من الفوز بخطيبتك بالرغم عن الوالي وذلك الشيخ المنحوس فقد صدرت الارادة السلطانية بالعفو عنك واقترنت بليلى الجميلة فانت السعيد .

سمير ـ ما كان ما تهنئني به إلّا نتيجة البرقية التي رفعتها في حلب الى السلطان عبدالحميد اشكو فيها الوالي والشيخ الذي كان طامعا في خطيبتي وانا اليوم كما تقول يارجب سعيد كل السعادة في جنب زوجتي ليلى وقد تم العقد بسهولة فلا الوالي عارض ولا الشيخ ازعج . (ثم يتفارقان)

ـ المشهد السادس ـ

رجب والشيخ

يدخل رجب على الشيخ ويجلس اليه بعد تقبيل يده

الشيخ ـ ما اثمرت يا رجب كل مساعينا الى الحصول على ليلى فان شيطان سمير كان قويا يمده حتى احرز تلك الدرة الثمينة التي كنت اريدها لنفسي واعلم باني منتقم من سمير في يوم وسيكون انتقامي شديدا .

رجب ـ لا اشك في مقدرتك ياسيدي واني لاستطيع ان اخدم انتقامك العادل عنه فقد مهرت في تقليد خط سمير مهارة فائقة الى درجة ان يشتبه هو نفسه فيه! ولا اسهل من ان احرر نشرة بخطه احض فيها الشباب على الثورة باسم الحرية فاذا ثبت لدى التحقيق ان الخط خطه ـ وانا واثق ـ كان ذلك برهانا على جريمته ولما كان الوالي مثل سيدي ظمآن الى الانتقام منه لا يتأخر عن عرض جريمته هذه الاخيرة على السدة السنية واستحصال ارادة قاطعة في نفيه وسيكون ما اتهم به قبلا من مؤيدات تجريمه هذا .

الشيخ ـ بورك فيك وما فكرتك هذه ايها الولد الصالح إلّا الهام من الله تعالى ولما كانت الغاية تبرر الواسطة فلا تثريب عليك فيما تفعله وسأكافئك على خدمتك هذه مكافأة لا تحلم بها !

رجب — غدا ستسمع ان الناس يقرأون على باب جامع السراي نشرة فيها اثارة للشعب على الحكومة ونيل من كرامة السلطان الاعظم مكتوبة بخط سمير .

الشيخ — اذهب يا ولدي واعمل كما افتكرت وانت الموفق .

(يقبل رجب يد الشيخ ويخرج)

— المشهد السابع —

الوالي ورئيس الشرطة

رئيس الشرطة — قد اسفر يا مولاي التحقيق عن كون خط النشرة الشريرة هو خط سمير فما اكفر هذا الشاب با لنعمة ! لقد عفا جلالة السلطان عنه قبل شهرين فما زاده العفو إلا غرورا واسترسالا في العداء لسلطنته السنية !

الوالي — اقبض عليه يا بك واسجنه في هذه الليلة وسأبرق الى المابين الملكي واستحصل بعد غد الارادة بنفيه الى سيواس .

رئيس الشرطة — سيتم الليلة ما تأمر به يا سيدي .

(ثم يؤدي السلام ويخرج)

— المشهد الثامن —

ليلى بعد نفي سمير

لقداخذوا ليلا سميري من جنبي ... ولم يسألوا قلبي ولم يرحموا حبي
واقصوه عني قطع الله قلبهم ... كماقطعوا من غير ان يشفقوا قلبي
يحف لدى اقصائه بحرابهم ... كما حفت العين البصيرة بالهدب
كأن النوى لابارك الله في النوى ... شواظ من النيران يكوى به جنبي
وان الهوى في البعد — ان كان صادقا — ... كمثل الهوى يا ام يلذع في القرب
سلام على سيواس ان هي انزلت ... حبيبي سميرا يوم وافى على الرحب
فيا نجم سيواس على افقي التمع ... ويا ريح سيواس على كبدي هبي
واكرم بسيواس اذا هي ارجعت ... الي سميرا وهو يهتز كالعضب
وان سميرا — رده الله — حاجتي ... وان سميرا — لافجعت به — إربي
بدا لي ربيع من حياتي كأنه ... — وقد راقني — زهر يطل على العشب

سباني لما بان لي بجماله واي جميل مثله لم يكن يسبي
فلهفي عليه ، ثم لهفي قد ثوى بسيواس منزوعا من الاهل والصحب !
ولو كان في حوزي جناح يقلني لطرت الى سيواس في غفلة السرب
فكنت لسيواس بيومي هابطا وليس ببلوغ الطير سيواس بالصعب
وللناس يا اماه في كل بقعة خطوب ، ولكن تلك اهون من خطبي !
ترين جليا ما اقاسيه من اسى اذوب به يا ام في دمعي السكب !
لعل البكى ان ظل يسعفني البكى يبرد من نار تأجج في قلبي !
ارى كل جرح سوف يرأب فتقه وليس لجرح في انهر من رأب !
وهل تجمع الايام بيني وبينه فحسبي الذي قاسيته في النوى حسبي !
ولو لا رجائي عوده بسلامة لكنت من الاحزان قاضية نحبي !
وان حالت الايام دون لقائنا يطول عليها ثم لا ينقضي عتبي !
لقد كانت الاقدار قبل قسائها يسالمنني واليوم يلحن في حربي !
ذهبت الى الوالي ابث ظلامتي فكان فؤاد الشيخ كالحجر الصلب
وما الذنب ذنب المستبد بحكمه ولكنه ذنب الرجال من الشعب
فلو لم ينم عن حقه الشعب مغضيا لما كان ذو السلطان يسرف في الغصب
عبادك يا رباه في الارض قد قسوا وانك ذو لطف ففرج به كربي

— المشهد التاسع —

الطبيب في غرفة ليلى

زينب — أترى الخطر كبيرا يا دكتور . فان اغماءها قد طال وخير لي ان تصرح بما يهديك اليه الفن فان العلم بمصير ابنتي يعين لي مصيري .

الدكتور — أجل يا سيدتي ، أخشى ان يكون الخطر كبيرا ، فان الولادة كانت عسيرة وقد نزف منها دم كثير زادها ضعفا على ضعفها من جراء حزنها الطويل على نفي زوجها سمير . وهي الان مغمى عليها . والحمى شديدة وستفيق من غيبوبتها بعد نصف ساعة ولا تنسي ان تسقيها من الدواء الذي رتبته ملعقة في كل نصف ساعة .

زينب — ويلي ثم ويلي ! قل بربك يا دكتور ماذا اصنع اذا لم تفق من غيبتها.

الدكتور — لا بد من ان تفيق وسأعودها بعد ساعة فربما بان لنا امل فالقة قادر.

(يخرج الطبيب وتفيق ليلى بعد ربع ساعة)

الفصل السادس

— المشهد الاول —

ليلى ساعة موتها وهي مسندة في فراشها ظهرها الى امها

لقد كنت ارجو :

لقد كنت ارجو انني يا سمير في جوارك احيا ثم انك مطلق
وقد كنت ارجو ان نكون من الردى بعيدين يرعانا الغرام الموفق
نعيش معا في ذمة الحب بيننا سعيدين لا نأسى ولا نتفرق
وقد كنت ارجو ان تكون بجانبي اذا اخذت نفسي من الجسم تزهق
وقد كنت ارجو ان ارى ابني بأعيني يشب ومنه الخد ريان مشرق
وقد كنت ارجو ان اغني باسمه فيبسم لي طورا واخر يرمق
وقد كنت ارجو ان اشاهد خوطه على رقبة مني يطول ويسمق
وقد كنت ارجو ان اراه فتى له من العلم ما يسمو به ويحلق
ولو لا بقايا من رجاء يطوف بي لما كان عندي بالحياة تعلق
ولكنما قد حان حتفي لشقوتي فاني اراه من قريب يحملق
فيا ام هاتي ابني فاني اريد ان اقبله من قبل حتفي يسبق
علي به اماه كيما اضمه الى الصدر والقلب الذي فيه يخفق
اذا عاد يا اماه بعد منيتي سمير فعزيه على الرزء يرهق
وقولي له كانت برغم عذابها بذكرك ليلى ساعة الموت تنطق
غداة غد يا لهف نفسي على غد سأودع قبرا شق والقبر ضيق

(ثم تاتي امها بابنها فتقلبه ليلى وتفيض نفسها وينسقط رأسها)

— المشهد الثاني —

زينب — على قبر ابنتها

نبتت مثل زهرة الاقحوان في ربيع الهوى بروض الاماني
نبتت فيه وهي ذات ابتسام فسقيت ابتسامها بحناني
كلما طال خوطها بشرت قلبي بقرب اتساقه العينان

كم ضممت ابنتي الى الصدر مني ابتغي ان اردها لحناني
وشممت السوالف الغر منها اتسلى بها من الاشجان
ثم ابعدتها لانظر فيها ثم ادنيتها الى احضاني
ثم اجلستها الى الجنب مني ثم قلبت شعرها بيناني
ثم كلمتها فردت كلامي بابتسام تلوح فيه المعاني
ثم قبلتها بمل، شفاهي ثم غذيتها بمحض لباني
ابنتي زهرتي فيا ربي احفظ زهرتي من كوارث الازمان
يا ابنتي انت سلوتي ورجائي وسراجي في ليلة الاحزان
حلمي انت في منامي وذكري حين ادنو من يقظتي في اساني

❀❀❀

ابنتي قد ترعرعت فهي تلعب كطلى في جنبي وتأتي وتذهب
تتنزى من النشاط امامي فهي تحكي حمامة تتقلب
وهي مثل الغزال تشدو ورائي ببغام له فؤادي يطرب
خفة تطرب النفوس وصوت بستبي حسنه القلوب وينهب
وعيون ترنو العيون اليها شاخصات ووجنة تتلهب
ورواء في الخد منها جميل فهو ماء مصفق ليس ينضب
تلع الجيد فوق قد رشيق زانه الشعر مرسلا يتذبذب
واذا ما مشت معي في طريق سألتني عن كل شيء ومطلب
ابنتي هذه خلاصة نفسي فهي مني مثل الحياة واطيب
رب صنها حتى تكون فتاة ثم اما ترعى ابنها ليهذب

❀❀❀

ابنتي قد شبت مع الايام فهي اليوم مثل بدر التمام
انجزت من دروسها ما به امتا زت على الكل من بنات الكرام
وفشا صيت حسنها يتمشى مع ذكر العفاف بين الانام
خصها الله في الورى بمزايا اكبرتها فراسة الاقوام
عفة سرت الوقار وطهر ذكر الناس امرءا باحترام

خلق البـــارىء المصور للخلق ابنتي من وداعة وسلام
ابنتي زهرتي التي انا انهو عن كروبني بها وعن آلامي
ثم زفت الى كريم عروسا ما بها من غميزة او ذام
وبدا حملها فقلنا جميعا اثمر الغصن فهو ذو اكمام
وحمدنا على المسرات دهرا كان قبلا لنا الد الخصام
ثم انا قد انتظرنا فجاءت بعد تعداد اشهر بغلام
وضعته وبعد ان وضعته اغمضت عينها كما في المنام
رقدة قد طالت وطال انتظاري لانتهاء يأتي لها وختام

❀❀❀

يا ابنتي الشمس اذنت بالشروق فايقظي من هذا الرقاد العميق
يا ابنتي يا ابنتي صديقتك الشمس استفاقت من نومها فاستفيقي
و العصافير يا ابنتي تتغنى للضحى فوق كل غصن رشيق
و الازاهير للعصافير ترنو باسمات عن لؤلؤ وعقيق
ومياه العيون تمشي الهوينا فوق ظل تحت الغصون رقيق
وعلى الماء يا ابنتي ورقات هي ما بين عائم وغريق
ليس في الروض غير قلب خفوق لامانيه و وجه طليق

❀❀❀

يا ابنة القبر امك القبر تاتي ما يناغي محبة الامهات
امك القبر لا تصون كما ار جو ملاحات تلكم الوجنات
يا ابنة القبر انت من بعد حين يا ابنة القبر فيه بعض الرفات
لهف نفسي عليك من وحشة القبر ومما في القبر من ظلمات
غرفة تحت حفرة الارض لا يد خلها النور من جميع الجهات
غرفة حالت الصفائح فيها بين وجه الانسان و النسمات
ان نفسي عليك يا انس نفسي ذهبت اي وربها حسرات
ايها القبر هل علمت باني قبل موتي دفنت فيك حياتي
عبراتي عليك تهمي ولكن انت لا تستفيد من عبراتي

ـــ المشهد الثالث ـــ

زينب ـــ (تحدث نفسها) مضى على نفي سمير سنتان ، وقد اعلن الدستور وسمعت انه عائد الى بغداد فماذا يكون حاله اذا رأى ان الدار خالية من حبيبته ليلى ؟

ـــ المشهد الرابع ـــ

(يدخل بغتة سمير فيرى زينب تداعب طفلا جميلا ويقلق لعدم رؤيته ليلى)

زينب ـ ماتت عروسك يا سمير فاليوم يحضنها الحفير
ماتت فمات من الاسى في نفسي الامل الكبير
ما كان في فمها سوى اسمك وهي نازعة يدور
اني انا الثكلى وانت الارمل الكلف الحسير
قد غادرتني لياليَ السود ليس بهن نور
ولقد بكيت شبابها مفجوعة وبكى العشير
ولقد تقصف حين ازهر ذلك الخوط النضير
ماتت وابقت بعدها طفلا ملامحه تنير
ولقد يلاقي جبره يوما به القلب الكسير
ومشى وراء النعش عند مسيره الجم الغفير
ومضى يشيعه رجال الحي والدمع الغزير
وركضت اتبع نعشها والنعش مرتفع يسير
فسقطت بعد خطى على وجهي وزايلني الشعور
ما زارني من بعد ليلى قط في بيتي السرور
كلا ولا طابت لي الارواح والماء النمير

(يقبل سمير ابنه باكيا ثم يخرج)

ـــ المشهد الخامس ـــ

سمير على قبر ليلى

هل ما اراه قبر ليـــلى ماثلا يبدو امامي
كذبوا فانك في ظلا م القبر يوما لم تنامي
بل انت مثل البرق هـا جعة ياحشاء الغمام

بل انت في النجم المضيء وانت في البدر التمام
في الصبح في زهر الربيع اذا تفتح للغمام
ولعلهم صدقوا فان الناس اجمع للحمام

❁ ❁ ❁

اني اتيتك زائرا فعليك يا ليلى سلامي
هل تسمعين اذا بثثتك ما اكابده كلامي
لهفي عليك حبيبتي متروكة تحت الرغام
قد كنت تقلين الظلا م فما رقادك في الظلام
ليلى لعلك قد برمت على البسيطة بالزحام
فتخذت تحت الارض مثوى فيه نمت مع النيام

❁ ❁ ❁

ان الاسى ليدب بين اللحم مني والعظام
ما كنت احسب ان تحو زك غيلة ايدي الحمام
في القلب احزان تكا د تشق قلبي كالسهام
آه فقد صار الذي كنا نشيد الى انهدام
لم يبق لي إلا خيا لك من ابث له غرامي
ما زال طيفك مائلا لي وهو ينظر في ابتسام
سيظل طرفي هاميا يسقي ثراك على الدوام
ويظل قلبي خافقا مما يقاسي وهو دامي

تمت الرواية

بغداد في ١٠ تموز سنة ١٩٢٧

يغني في الختام بالنشيد الآتي :

يا بلادي

اسفر الصبح جميلا وتجلى وتنفس
ولقد جن طويلا قبله الليل وعسعس

يا بلادي يا بلادي حبذا انت بلادا
لك اخلصت ودادي فاقبلي مني الودادا

انت ان ثارت شجوني لي بسلوان كفيله
انت ان اغفت عيوني مهد احلامي الجميله
لك نخل و ظلال فيك ارواح الجنان
لك بالبحر اتصال فيك يجري الرافدان
منك لحمي و عظامي و دم يسقي عروقي
بك قد نلت مرامي فيك قد صنت حقوقي
بك عزي فيك انسي منك حولي في جدالي
و سأفديك بنفسي و باهلي و بمالي
فيك اجداث جدودي تتراءى نخوات
منك احرزت وجودي بك قد نلت حياتي
كنت لولاك شريدا ليس لي في الارض مأوى
لم ازل فيك سعيدا اشرب العذب و اروى
انا نجل بك بر انت لي ام حنون
انا حر انا حر لك ارعى و اصون
اسعدي انت فاني لك ارض بشقائي
بك اشدو واغني في صباحي ومسائي
حبذا ليلك تبدي زهرها فيه السماء
حبذا يومك تهدي ضوءها فيه ذكاء
لك يا ارض بلادي بعد ربي الملكوت
لك ادعو وانادي لك احيا واموت
لك يا منبت غرسي نزعاتي رغباتي
لك يا مسقط رأسي بدواتي عدواتي
ملك للشعب فيصل ساس بالراي الحصيف
فعلى التاج المعول وعلى العرش المنيف
يا ابا الشعب سلام يا ابا الشعب عليكا
انما الشعب حسام ذو مضاء في يديكا

كتب تطبع

Livres sous presse.

اني اشكر الله على اني تركت في العام المنصرم امور التجارة لاتفرغ كل التفرغ للعلم والادب. وحالما ودعتها اخذت باتمام ما كنت قد شرعت فيه من ديواني الطفيل والطرماح. ولقد طبع المتن والشرح قبل الحرب فلا يمكنني اليوم ان اصحح فيهما ما عن لي بعد ذلك وما حققته بعد الاطلاع على عدة كتب وقعت بيدي .

ولقد انتهيت من مراجعة نص كتاب « التيجان » وهو اقدم « كتاب » عربي وصل الينا في هذا العهد . والذي اراه ان هذه الصحف من وضع وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) وقد حرره عبد الملك بن هشام (راجع لغة العرب ٥ : ٥٤٠) . ويسوءني ان اقول ان المخطوطات الثلاثة التي وجدتها واعتمدت عليها هي في حالة يرثى لها من التصحيف والتحريف الواقعين من اقلام النساخ المساخ ولاسيما ما وقع في ابيات الشعر الواردة في ذلك السفر النفيس، وهي ابيات طويلة عريضة موضوعة في الغالب ثم جاء ابن هشام فزاد عليها من عنده ابياتا اخرى فأضت تلك الكلم مبهمة فوقها ظلمات ، وتحتها ظلمات ، وتحف بها ظلمات ، فهي ظلمات ، في ظلمات ، في ظلمات .

على ان هذا الكتاب يبقى دائما رفيع المقام عند كل اديب مهما كانت منزلته وباي فرع من فروع العلم اشتغل وذلك لانه كان المنبع الاول الذي استقى منه المفسرون لتاويل بعض آي القرآن . ولهذا ترى الهمداني قد نقل في اكليله جميع « القبوريات » الواردة فيه عن اقيال اليمن دون تغلبة او نقد . — وقد نقلت الى الانكليزية مختصر تلك القصص وسوف تنشر في المجلة المعنونة « بمجلة الاسلاميات » الانكليزية التي تصدر في حيدراباد .

وبعد ان اتم ما ذكرته هنا ، اعني باتمام « الدرر الكامنة » الذي كنت قد تركته موقتا لاتمم اصلاح كتاب التيجان . والجزء الاول من كتاب الدرر يحوي نحو ٢٫٥٠٠ ترجمة وقد عارضتها بثلاث نسخ منها اثنتان حسنتان . وقد انتهيت من مسح القلم من الجزء الاول المذكور وانا على وشك ان ارسل به الى ديار الهند حيث يطبع .

بكنهام (انكلترة) ف . كرنكو